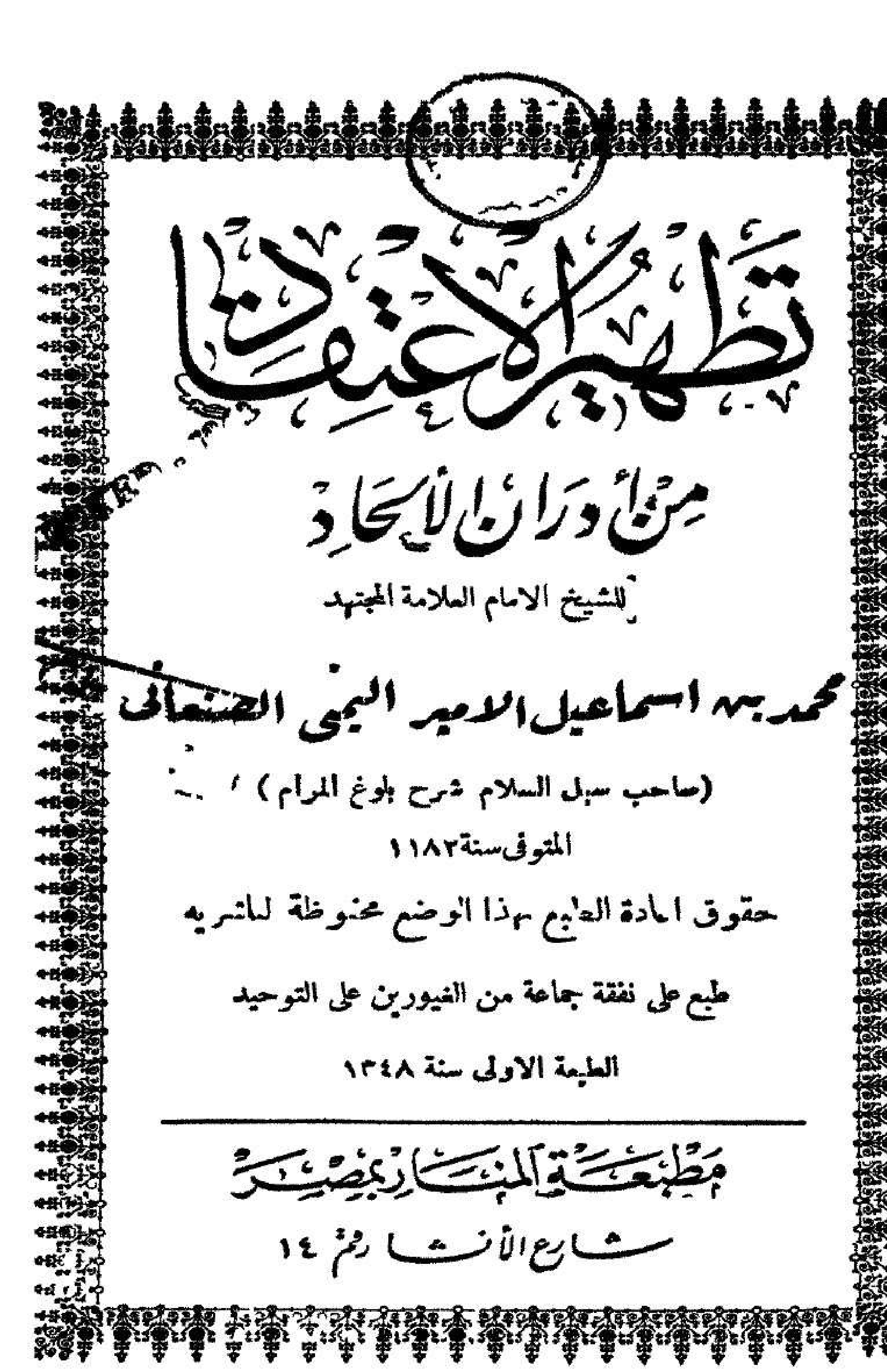


تطهير الاعتقاد

من أدران الالحاد

للشيخ الامام العلامة المجتهد

محمد بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني

(صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام)

المتوفى سنة ١١٨٢

طبع على نفقة جماعة من الغيورين على التوحيد

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨

مطبعة المنار بمصر

شارع الأنشا رقم ١٤

ويقين لا شك فيه . فهذا الاصل أصل لا يتم إسلام احد ولا ايمانه الا بالاقرار بهذا الاصل (١) وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف فيه

(الاصل الثاني) أن رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بُعثوا لدعاء العباد الى توحيد الله بتوحيد العبادة . وكل رسول أول مايقرع به أسماع قومه قوله (ياقومِ اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه — ألاّ تعبدوا الا الله — أنِ اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا هو الذي تضمنه قول لاإله الا الله . فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان . ومعناها هو إفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه . وهذا الاصل لا مرية فيما تضمنه ولا شك فيه وانه لايتم ايمان أحد حتى يعلمه

(الاصل الثالث) أن التوحيد قسمان (القسم الاول) توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به كما سيأتي في الاصل الرابع

(والقسم الثاني) توحيد العبادة ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ، ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى ، فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول، ودعاء المشركين الى الثاني ، مثل قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك ؟ هل من خالقٍ غيرُ الله؟) ونهيهم عن شرك العبادة ؛ ولهذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولا أنِ اعبدوا الله) أي قائلين

(١) الاولى الاختصار فيقول: إلا به

لأممهم أن اعبدوا الله فأفاد بقوله (في كل أمة) ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم، وانه رب السموات والارض، فانهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله ؟ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفي الله شك فاطر السموات والارض ؟ أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ أروني ماذا خلقوا من الارض ؟) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ، وبهذا تعرف ان المشركين لم يتخذوا الاصنام والاوثان ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لاجل انهم اشركوهم في خلق السموات والارض، بل اتخذوهم لانهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه، فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله ، قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه، فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئا؟

(الاصل الرابع) ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون بأن الله خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وأنه الذي خلق السموات والارض (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وانه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وانه الذي يدبر الامر من السماء الى الارض، وانه الذي يملك السمع والابصار والافئدة (قل من يرزقكم من السماء والارض

أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ؟ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون (١) لله قل فأنى تسحرون ؟) وهذا فرعون مع علوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسى عليه السلام (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) وقال ابليس (إني أخاف الله رب العالمين) وقال (رب بما أغويتني) وقال (رب أنظرني) وكل مشرك مقر بان الله خالقه خالق السموات والارض وربهن ورب مافيهما ورازقهم . ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لايخلق ؟) وبقولهم (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لاينكرونه

(الاصل الخامس) أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل إلا في الخضوع لله لانه مولي أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع كما في الكشاف، ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته، التي اليها دعت جميع الرسل ، وهو قول لا إله إلا الله، والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها افراد الله بالعبادة والالهية والنفي والبراءة من كل معبود من دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى لانهم

(١) في قراءة سبعية سيقولون الله بالهمزة في الموضعين

أهل اللسان العربي ، فقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب)

(فصل) اذا عرفت هذه الاصول فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً (اعتقادية) وهي أساسها ، وذلك أن تعتقد أنه الرب الواحد الاحد الذي له الخلق والامر، وبيده النفع والضر، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد إلا باذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية ومنها اللفظية وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله وكان كابليس فانه يعتقد التوحيد، بل ويقر به كما أسلفناه عنه الا أنه لم يمتثل أمر الله فكفر. ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه الى الله، وحكمه حكم المنافقين (وبدنية) كالقيام والركوع والسجود في الصلاة. ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف (ومالية) كاخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به. وأنواع الواجبات والمندوبات في الاموال والابدان والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها ، وإذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم ، يدعون العباد الى افراد الله تعالى بالعبادة، لا الى اثبات أنه خلقهم ونحوه اذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده؟) أي لنفرده بالعبادة ونختصه بها من دون الاوثان، فلم ينكروا الا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ،ولم ينكروا الله تعالى ولا انه يعبد ،بل أقروا أنه يعبد وأنكروا كونه يفرد بالعبادة فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه ، واتخذوا له أنداداً كما قال، تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أي وأنتم

تعلمون أنه لا ند له، وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، وكان يسمعهم النبي ﷺ عند قولهم لا شريك لك، ويقول« قد أفردوه جل جلاله ولو تركوا قولهم -الا شريكا هو لك » فنفس شركهم بالله تعالى اقرار به تعالى .قال تعالى (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؛ادعوا شركاءكم من دون الله- قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) فنفس اتخاذ الشركاء اقرار بالله تعالى ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم أنها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ماسواه، وأن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل،وان ذلك لا يكون إلا لله وحده ،وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت في الاصل الرابع بتوحيد الربوبية، وهو أن الله هو الخالق وحده،والرازق وحده، ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم اليه الرسل من أولهم - وهو نوح عليه السلام - إلى آخرهم - وهو محمد ﷺ -هو توحيد العبادة، ولذا تقول لهم الرسل(ألا تعبدوا الا الله -اعبدوا الله مالكم من إله غيره)وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد،ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها،وهي في الاصل صور رجال صالحين،كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسليا بها فلما طال عليهم الامد عبدوهم ثم زاد الامد طولا فعبدوا الاحجار ،ومنهم من يعبد المسيح ،ومنهم من يعبد الكواكب ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم الى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية اي بربوبية السموات والارض وان يفردوه

بكلمة (لا إله الا الله) معتقدين لمعناها عاملين بمقتضاها ، وأن لا يدعوا مع الله أحدا وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق بالله أن لا يتوكلوا الا عليه وأن يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار ، وأمر الله عباده أن يقولوا ﴿ اياك نعبد ﴾ ولا يصدق قائل هــذا الا اذا أفرد العبادة لله تعالى والا كان كاذبا منهيا عن أن يقول هذه الكلمة ، اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ﴿ فاياي فاعبدون ــ واياي فاتقون ﴾ كما عرف من علم البيان أن تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أي اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره واتقوا الله ولا تتقوا غيره ، كما في الكشاف فافراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله له والنــداء في الشدائد والرخا ، لا يكون الا لله وحده والاستعانة بالله وحده واللجأ الى الله والنذر والنحر له تعالى ، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالى ، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون الا لله عز وجل ومن فعل ذلك لمخلوق حي او ميت او جماد او غيره فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور الهــا لعابديه سواء كان ملكا او نبيا او وليا او شجرا او قبرا او جنيا او حيا او ميتا وصار بهذه العبادة او بأي نوع منها عابدا لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم ، قال الله تعالى [1] ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك ﴾ لا يقبل الله

(١) أي في الحديث القدسي الآتي في صفحة ١٠

عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره

(فصل) إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الاقرار بالله مع إشراكهم في العبادة ولم يغن عنهم من الله شيئاً، وان عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وانهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم، ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق، ولكنهم لما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد باقرارهم هذا لانه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة، فاذا لم يفعل ذلك فالاقرار الاول باطل. وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار وقالوا (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين ولكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الاصنام، وبين رب الانام، قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض إلا وهو مشرك بعبادة الاوثان، بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها الا الله تعالى وانما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس. فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس فلم تقبل له عبادة وسماها شركا كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه » بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا كما قال تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) فانه أخرج الامام احمد والترمذي من حديث سمرة أنه قال ﷺ « لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد طاف بها ابليس وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث فسمته فعاش » وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركا . وكان ابليس تسمى بالحارث والقصة في الدر المنثور وغيره

(فصل) قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت انه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل الى الرب تعالى — الا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد ﷺ أو نحو ذلك — فانه قد أشرك مع الله تعالى غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب فان هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الاوثان . والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على قبره والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الشرك الذي كان(٢) تفعله الجاهلية، وانما كان الجاهلية يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه وليا أو قبرا أو مشهدا والاسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة

(٢) وفي نسخة كانت

لغوية وعقلية وشرعية، فان من شرب الخمر وسماها ماء ماشرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية وقد ثبت في الاحاديث انه يأتي أقوام يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها وصدق ﷺ فانه قد أتى طوائف (١) من الفسقة (٢) شربوا الخمر وسموها نبيذا ، وأول من سمى مافيه غضب الله وعصيانه بالاسماء المحبوبة عند السامعين هو ابليس لعنه الله فانه قال لأبي البشر آدم عليه السلام (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى؟) فسمي الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبا لطبعه اليها وهزا لنشاطه إلى قربانها، غرورا له وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يسمي اخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة مايقبضونه من أموال عباد الله — ظلما وعدوانا — أدبا فيقولون أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة بتحريف اسم الظلم إلى اسم الادب، كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة، وفي بعضها إلى اسم السيافة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين، وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة وكل ذلك مأخوذ عن ابليس حيث سمى الشجر المنهي عنها شجرة الخلد وكذلك تسمية القبر مشهدا ومن يعتقدون فيه وليا لايخرجه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأوثان والاصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم : على الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها ،

(١) وفي نسخة أقوام (٢) وفي نسخة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً الخ

وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلي وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه ويقولون يازيلعي ياابن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف ياابن العباس ، وأهل مصر يارفاعي يابدوي والسادة البكرية ، وأهل الجبال ياأبا طير ، وأهل اليمن ياابن علوان ، وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهذا بعينه فعل المشركين في الاصنام كما قلنا في الابيات النجدية

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ويستلم الاركان منهن بالايد

فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه، فقل ان كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل اردت بذلك تعظيمه ؟ فان قال نعم . فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره ، وان لم ترد تعظيمه فهل اردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه، فأنت تعلم يقينا أنك ما أردت ذلك أصلا ولا اردت إلا الاول ولا خرجت من بيتك الا لقصده ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب، وقد يعتقدون في بعض فسقة الاحياء وينادونه (١) في الشدة والرخاء ، وهو عاكف على القبائح والفضائح ، لا يحضر حيث امر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ولا

(١) وفي نسخة وينادونهم

يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضا ، ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالا ، ويضم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ، ويجلب اليه ابليس جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتانه ، ويعظمون شانه ، ويجعلونه ندا لرب العالمين ومثلا له عز وجل ، فيا للعقول أين ذهبت ؟ ويا للشرائع كيف جهلت ؟ (إنَّ الذينَ تدعونَ من دونِ الله عباد أمثالكم) فان قلت أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والاولياء والفسقة والخلفاء مشركين كالذين يعتقدون في الاصنام ؟ قلت . نعم قد حصل منهم ماحصل من أولائك ، وساووهم في ذلك ، بل زادوا في الاعتقاد . والانقياد والاستعباد ، فلا فرق بينهم ، فان قلت هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لانشرك بالله تعالى ، ولا نجعل له نداء والالتجاء الى الاولياء والاعتقاد فيهم ليس شركا ، قلت نعم . (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك ، فان تعظيمهم الاولياء ونحرهم النحائر لهم شرك ، والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف(١) ويقول تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) . وقد عرفت بما قدمنا قريبا ، أنه سمى الرياء شركا فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذي يفعلونه لاوليائهم ، هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئا لان فعلهم أكذب قولهم ، فان قلت هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلونه . قلت : قد خرج الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة ، أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد

(١) دعوى التقديم ممنوعة والحكم صحيح

معناها ، وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا كفارا كفرا اصلياء فالله تعالى فرض على عباده افراده بالعبادة (ان لا تعبدوا الا الله) واخلاصها (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ومن نادى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا وخوفا وطمعا ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة ، فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله عبادة في قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) بعد قوله (ادعوني أستجب لكم)

(فان قلت) فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين (قلت) الى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا يجب اولا دعاؤهم الى التوحيد وإبانة أن مايعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئاء وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه وإفراد التوحيد اعتقاداً وعملا لله وحده ، وهذا واجب على العلماء (أي) بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم وانه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم ، فاذا أبانت العلماء (ذلك) للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة الى إخلاص التوحيد ، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين

(فان قلت) الاستغاثة قد ثبتت في الاحاديث فانه قد صح ان العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون بمحمد ﷺ بعد اعتذار كل واحد من الانبياء ، فهذا

دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر (قلت) هذا تلبيس فان الاستغاثة بالمخلوقين الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وانما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أمرا لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية لمريض وغيرها، بل أعجب من هذا ان القبوريين وغيرهم من أتباع الاحياء ومن يعتقدونه يجعلون له حصة من الولد ان عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم ويأتون بمنكرات ماانتهى اليها المشركون. ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ماينذر القبوريون لبعض أهل القبور انه جاءه انسان بدراهم وحلية نسائه وقال هذه لسيده فلان - يريد صاحب القبر - نصف مهر ابنتي لاني زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا - يريد صاحب القبر - وهذه النذور بالاموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئا من الزرع يسمونه (تلما) في بعض الجهات اليمنية للميت، وكذلك يجعلون لهم نصيبا من أنعامهم — فهذا شيء مابلغ اليه عباد الاصنام وهو داخل تحت قوله تعالى (ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب ثم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء انما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لاشك في جوازه (أعني) طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض بل قد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمرا «لاتنسنا ياأخي من دعائك»، وأمرنا سبحانه أن ندعوا للمؤمنين ونستغفر لهم يعني قوله تعالى (يقولون ربنا اغفر لنا

ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها . يارسول الله خادمك أنس ادع الله له ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه وانما الكلام في طلب القبوريين من الاموات أو من الاحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ان يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وان يسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون — إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب من الجماد أو من حي الجماد خير منه لانه لا تكليف عليه . وهذا يبين مافعله المشركون الذين حكي الله ذلك عنهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتقد إلا في الله تعالى، وجعلوا لهم جزءا من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم مسافرين للزيارة وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا اليهم — وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك — ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم ؟ لا استبعد أن فيهم من يفعل ذلك ، بل أخبرني من أثق به انه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة

ويقسمون بأسمائهم، بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا كان عباد الاصنام (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)

وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت)(١) وسمع رسول الله ﷺ رجلا يحلف باللات فأمره أن يقول : لا اله الا الله(٢) وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم(٣) فأمره ان يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك كما قررنا في (سبل السلام شرح بلوغ المرام) وفي (منحة الغفار) (فان قلت) لا سواء لان هؤلاء قد قالوا (لا اله الا الله) وقد قال النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » وقال لاسامة بن زيد « قتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ » وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين (قلت) قد قال ﷺ «الا بحقها» وحقها افراد الالوهية والعبودية لله تعالى والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة . فلم تنفعهم كلمة الشهادة . فانها لا تنفع إلا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء

(١) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ (فمن كان حالفا فليحلف بالله) الخ

(٢) لفظ الحديث عند مسلم (من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله الا الله) (٣) كان الأولى أن يقول : بالحلف بغير الله لان الحلف بغير الله شرك مطلقا لقوله ﷺ (من حلف بغير الله كفر) رواه أبو داود والحاكم وفي رواية للحاكم (كل يمين يحلف بها دون الله شرك)وفي رواية لأحمد (من حلف بغير الله فقد أشرك)على أن ابن عباس قال (كان اللات رجلا يلت سويق الحاج) رواه البخاري

كتبه محمد محمد فاضل

وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيا لم تنفعه كلمة الشهادة الا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ولكنهم قالوا ان مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للمهمات؟ وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق أصحاب عبد الله بن سبأ وقد كانوا يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقده القبوريون واشباههم، بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحدا من العصاة فانه حفر لهم الحفائر، وأجج لهم نارا وألقاهم فيها وقال

اني إذا رأيت أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

وقال الشاعر في عصره

لترم بي المنية حيث شاءت اذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أججوا فيهن نارا رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في (فتح الباري) وغيره من كتب الحديث والسير، وقد وقع إجماع الامة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله الا الله، فكيف من يجعل لله ندا؟ (فان قلت) قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال لا إله الا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسيرة (قلت) لاشك أن من قال لا إله الا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله، ولذا أنزل الله في قصته (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية. فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال كلمة التوحيد، فان التزم لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وان تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب

الكف عنه الا لن يتبين منه ما يخالف ذلك ، فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجردها ، ولذلك لم تنفع اليهود ، ولا نفعت الخوارج مع ما انضم اليها من العبادة التي (كان) يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر النبي ﷺ بقتلهم وقال « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وذلك لما خالفوا بعض الشريعة ، وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء ، كما ثبتت به الاحاديث

فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله

(فان قلت) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء ، يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد الا الله وحده فلا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت ، بل رأسها وأساسها الاعتقاد ، وقد حصل في قلوبهم ذلك ، بل يسمونه معتقدا ، ويصنعون له ماسمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم ، والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة ، والحلف والنذر وغير ذلك . وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافرا ، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا ، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادا وقولا وفعلا ،

(فان قلت) هذه النذور والنحائر ما حكمها ؟ (قلت) قد علم كل عاقل ان الاموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، ويقطعون الفيافي من أدنى الارض والأقاصي ، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً الا معتقداً جلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر ، فالناذر للقبر ما أخرج من ماله الا لذلك ، وهذا اعتقاد باطل ، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهما ، فان الاموال عزيزة عند أهلها قال تعالى (ولا يسألكم

أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بانه اضاعة لماله، وانه لاينفعه مايخرجه ولايدفع عنه ضرراً وقد قال ﷺ « ان النذر لايأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل (١) » ويجب رده اليه ، وأما القابض للنذر فانه حرام عليه قبضه ،لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لافي مقابلة شيء ،وقد قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ولانه تقرير للناذر على شركه وقبيح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (إن الله لايغفر أن يشرك به) الآية فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي، ولأنه تدليس على الناذر وايهام له أن الولي ينفعه ويضره ،فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأي تدليس أعظم ؟ وأي رضاء بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا ؟ وما كانت النذور للاصنام والاوثان إلا على هذا الاسلوب، يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزءا من ماله ، او يقاسمه في غلات أطيانه ،ويأتي به إلى سدنة الاصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقية عقيدته، وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب الصنم ، وهذه الافعال هي التي بعث الرسل لازالتها امحائها (٢) واتلافها والنهي عنها (فان قلت) ان الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب اخراجه للنذر وبذله (قلت) كذلك الاصنام قد يدرك ومنها ماهو أبلغ من هذا وهو الخطاب من جوفها والاخبار ببعض مايكتمه الانسان ، فان كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقية الاصنام ، وهذا هدم للاسلام وتشييد لاركان الاصنام،

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) وفي نسخة واحراقها

والتحقيق أن لابليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية في اضلال العباد، وقد مكن الله ابليس من الدخول في الابدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه، فكذلك يدخل أجواف الاصنام: ويلقي الكلام في اسماع الاقوام، ومثله يصنعه في عقائد القبوريين (١) فان الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم، وأن يشاركهم في الاموال والاولاد، وثبت في الاحاديث أن الشيطان يسترق السمع بالامر الذي يحدثه الله فيلقيه الى الكهان وهم الذين يخبرونه بالمغيبات، ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة، ويقصد شياطين الجن شياطين الانس من سدنة القبور وغيرهم بذلك البهتان والزور فيقولون ان الولي فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه، وترى (٢) العامة ملوك الاقطار وولاة الامصار معززين لذلك، ويولون الرجل لقبض النذور، وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي فيتم التدليس لابليس. وتقر عينه بهذا التلبيس

(فان قلت) هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الاغوار والانجاد، وطبق الارض شرقا وغربا، ويمنا وشاما، وجنوبا وشمالا، بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام، ولا قرية من قراها، الا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها، وينذرون لها، ويهتفون باسمائها، ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها، ويلقون عليها الاوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب، ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها، من التعظيم والخضوع والخشوع، والتذلل والافتقار اليها، بل هذه

(١) وفي نسخة أهل القبور (٢) وفي نسخة ويرون ملوك الاقطار معززين لذلك

مساجد المسلمين غالبها لا يخلو من قبر أو قريب منه، او مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيه ماذكر او بعض ماذكر، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ اى ماذكرت من الشناعة والقباحة، ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا (قلت) ان أردت الانصاف، وتركت متابعة الاسلاف، وعرفت ان الحق ماقام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل (فاعلم) ان هذه الامور التي ندندن حول انكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دقي ومثيل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلده، يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به الى محل قبره ويلطخونه بترابه، ويجعلونه طائفا على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الاشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل، وينتصب للقضاء او الفتيا أوالتدريس، او الولاية والمعرفة، اوالامارة والحكومة، معظما لما يعظمونه، مكرما لما يكرمونه، قابضا للنذور آكلا ماينحر على القبور، فيظن ان هذا دين الاسلام، وأنه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والاثر ان سكوت العالم او العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر

ولنضرب لك مثلا من ذلك، وهي هذه المكوس المسماة بالمجابي المعلوم من ضرورة الدين تحريمها، قد ملأت الديار والبقاع، وصارت أمرا

مأنوسا، لايلج انكارها الى سمع من الاسماع ، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع ، في مكة أم القرى ، يقبضون من القاصدين لاداء فريضة الاسلام ، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام ، وسكانها من فضلاء الانام والعلماء والحكام ، ساكتون عن الانكار ، معرضون عن إيراده والاصدار ، أفيكون السكوت من العلماء بل من العالم دليلا على جوازها ، وأخذها واحرازها ؟ هذا لا يقوله من له أدنى ادراك

بل اضرب لك مثلا آخر هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء ، احدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال ، هذه المقامات الاربعة التي فرقت (١) عبادة العباد ، واشتملت على ما لا يحصيه الا الله عز وجل من الفساد ، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين . بدعة قرت بها عين ابليس اللعين ، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين ، وقد سكت الناس عنها ، ووفد علماء الآفاق والاقطار اليها وشاهدها كل ذي عينين ، وسمع بها كل ذي أذنين ، أفيدا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له المام بشيء من المعارف . وكذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين (فان قلت) يلزم من هذا ان الامة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن انكارها لاعظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته (اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على امر بعد عصره) وفقهاء المذاهب الاربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الائمة الاربعة . وان كان هذا قولا باطلا ، وكلاما لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلا . فعلى زعمهم لا اجماع أبدا من بعد

(١) وفي نسخة عبادة

الأئمة الاربعة،فلايرد السؤال،فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور،لم يكن على عهد أئمة المذاهب الاربعة،وعلى ما نحققه فالاجماع وقوعه محال ، فان الامة المحمدية قد ملأت الآفاق،وصارت في كل أرض ، وتحت كل نجم، فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ، ولا يتم لاحد معرفة أحوالهم،فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين ، وكثرة علماء المسلمين ، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكروما انكروه ، بل سكتوا عن انكاره لما دل سكوتهم على جوازه ، فانه قد علم من قواعد الشريعة ان وظائف الانكار ثلاث (أولها) الانكار باليد ، وذلك بتغيير المنكروازالته (وثانيها) الانكار باللسان ، مع عدم استطاعة التغيير باليد (وثالثها) الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان،فان انتفى أحدهما لم ينتف الآخر،ومثاله مرور فرد من أفراد علماء الدين ، بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين،فهذا فرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير(١) باليد على هذا الذي يأخذ أموال المساكين ولا باللسان،لانه انما يكون (٢) سخرة لاهل العصيان ،،انتفى شرط الانكار بالوظيفتين فلم يبق الا الانكار بالقلب الذي هو أضعف الايمان ، فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتا عن الانكار ،مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار أن يعتقد انه تعذر عليه الانكار باليد و للسان وأنه قد أنكر بقلبه ،،فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب،والتأويل لهم ماأمكن ضربة لازب،فالداخلون

(١) وفي نسخه على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان لانه انما الخ (٢) وفي نسخة ولم

إلى الحرم الشريف، والمشاهدون لتلك الابنية الشيطانية، التي فرقت كلمة (١) الدين، وشتتت صلوات المسلمين، معذورون عن الانكار إلا بالقلب، كالنارين على المكاسين وعلى القوريين، ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال، من قولهم في بعض ما يستدلون عليه بالاجماع: انه وقع ولم ينكر فكان اجماعا. ووجه اختلاله أن قولهم: ولم ينكر رجم بالغيب، فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان، وأنت تشاهد في زمانك انه كم أمر يقع لاتنكره بلسانك ولا بيدك، وأنت منكر له بقلبك. ويقول الجاهل اذا رآك تشاهده. سكت فلان عن الانكار بقوله إما لاثما أو متأسيا بسكوته، فالسكوت لا يستدل به عارف، وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال: فعل فلان كذا وسكت الباقون فكان اجماعا، وهذا مختل من جهتين (الاولى) دعوى ان سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت، من عدم دلالة السكوت على التقرير (والثانية) قولهم فكان اجماعا، فان الاجماع (اتفاق أمة محمد ﷺ)

والساكت لا ينسب اليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه

قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت: مالك لا تقول كما يقولون؟ فقال: ان تكلمت خالفتهم. فما كل سكوت رضى، فان هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الافراد، على دفعه عما أراده؟ فان هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والالحاد، وأكبر وسيلة الى هدم الاسلام

(١) وفي نسخة شمل

وخراب بنيانه ، غالب بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين، والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم ، وعلى من يحسنون الظن فيه، من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير ، أو شيخ كبير ، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون توسل به ،ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ،فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء ، وسرجت عليه الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر ، وأرخيت عليه الستور ، وألقيت عليه الاوراد والزهور ، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر ،ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل. ولهذا الامر ثبت في الاحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها، وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة

(فان قلت) هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الاموال، (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فان هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ولا من صحابته، ولا من تابعيهم وتبع التابعين: ولا من علماء أمته ، وأئمة ملته ، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور ،في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية، تبع فيها الآخر الاول

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه لما عمت به البلوى واتبعت الاهواء وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا الى ما مالت العامة اليه

وصار المنكر معروفا ، والمعروف منكرا ، ولم نجد من الاديان ناهيا عن ذلك ولا زاجرا .

(فان قلت) قد يتفق للاحياء وللاموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الافعال يتسمون بالمجاذيب، فما حكم ما يأتون من تلك الامور فانها مما جبلت القلوب على الاعتقاد بها؟ (قلت) أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم، ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي ، فهم من أجناد ابليس اللعين، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم السنتهم حال التلبيس والتزيين، لما ان إطلاق لفظ الجلالة مفردا عن إخبار عنها بقولهم (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد، وانما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف ، باخراجه عن لفظه العربي، ثم اخلائها عن معنى من المعاني، ولو أن رجلا عظيما صالحا يسمى بزيد وصار جماعة يقولون (زيد زيد) لعد ذلك استهزاء واهانة وسخرية ، ولا سيما اذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ ، ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها ، أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل ، وهذه اذكار رسول الله ﷺ وادعيته وادعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق، الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدى رسوله ﷺ وسمته ودله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى والمقبورين ، مثل ابن علوان واحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس ، بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون الى أهل القبور من أهل الظلم والجراءة، كعلي رومان وعلي الاحمر وأشباههما، ولقد صان الله تعالى رسوله ﷺ وأهل الكساء وأعيان الصحابة

عن ادخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال ، فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر

(فان قلت) انه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ، ويضيفون اليها أسماء جماعة من أهل الخلاعة والبطالة ، خوارق عادات ، وأمور تظن كرامات ، كطعن أنفسهم وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب ، وأكلهم النار ومسهم إياها بالايدي وتقلبهم فيها بالاجسام (قلت) هذه أحوال شيطانية ، وانك لملبس عليك ان ظننتها كرامات للاموات ، أو حسنات للاحياء (فانه) لما هتف هذا الضال باسمائهم جعلهم أندادا لله وشركاء له في الخلق والامر ، فهؤلاء الموتى والمقبورون أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى ، فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكا لله تعالى وندا ؟ ان زعمت ذلك فقد جئت شيئا إدا ، وصيرت هؤلاء الاموات مشركين . وأخرجتهم وحاشاهم عن ذلك — من دائرة الاسلام والدين ، حيث جعلتهم بجعلهم أندادا لله راضين فرحين ، وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين ، التابعين لكل باطل ، المنغمسين في بحار الرذائل ، الذين لا يسجدون لله سجدة ، ولا يذكرون الله وحده . (فان زعمت هذا) فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين الجانين . وهدمت بذلك ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين

وإذا عرفت بطلان هذين الامرين ، علمت ان هذه أحوال شيطانية ، وأفعال طاغوتية ، وأعمال ابليسية ، يفعلها الشياطين ، لاخوانهم من هؤلاء الضالين ، معاونة من الفريقين على إغواء العباد ، وقد ثبت في الاحاديث ، أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان ، وهذا

أمر مقطوع بوقوعه، فهم الثعابين التي يشاهدها في أيدي المجاذيب الانسان، وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه الأعظم الكفر بالله، وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الامور التي يراها منه خوارق، فان للسحر تأثيراً عظيما في الافعال، وهكذا الذين يقلبون الاعيان بالاسحار وغيرها، وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات، حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام، وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا، فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما توقد لهم النار العظيمة، فيلبسون الثياب الرقيقة، ويخوضون في تلك النار، ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء، بل ذكر أنه رأى انسانا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضواً عضواً ثم رمى بكل عضو الى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئا من تلك الاعضاء، ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراده وانضم الى الآخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا، ذكر هذا في رحلته وهي رحلة بسيطة، وقد اختصرت، طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة والف وأملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله

وفي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بسنده أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج فرآه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟) ثم ضرب وسط البقرة فقطعها

وقطع الساحر معها، فانذعر الناس فسجنه الوليد وكتب بذلك الى عثمان رضي الله عنه وكان على السجن رجل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل ويصبح صائما، قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا الاشعث بن قيس فاستضافه فرأى أبا محمد - يعني الاشعث - ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فخرج وسأل أي أهل الكوفة أفضل، فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة فقال (ربي رب جندب وديني دين جندب) وأسلم. وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بعبارة في القصة، فذكر بسنده الى الاسود ان الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم صارخا فيرد اليه رأسه، فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب الساحر يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه، وقال ان كان صادقا فليحي نفسه. فأمر به الوليد دينارا صاحب السجن فسجنه. اه

بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة وفيها ان امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد أن ألقته الى الارض: اطلع فطلع. فقالت احقل فأحقل، ثم فركته ثم قالت ايبس فيبس، ثم قالت اطحن فطحن ثم قالت له اختبز فاختبز، وكانت لا تريد شيئا إلا كان. والاحوال الشيطانية لا تنحصر، وكفى ما يأتي به الدجال والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما

انتهى ما أردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ترجمة

محمد بن اسماعيل الصنعاني

صاحب (تطهير الاعتقاد) نقلا عن كتاب البدر الطالع للشوكاني

هو السيد محمد بن اسماعيل بن صلاح الامير الكحلاني ثم الصنعاني ، ولد سنة ١٠٥٩ هـ بكحلان ثم انتقل مع والده الى مدينة صنعاء عاصمة اليمن فأخذ عن علمائها ثم رحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة ، وبرع في العلوم المختلفة حتى برز على أقرانه وتفرد بالرئاسة العلمية في صنعاء وأظهر الاجتهاد والوقوف مع الادلة، ونفر من التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره محن وخطوب، شأن كل مصلح يدعو الى الحق ويجاهر به في عصور الظلمات، وقد حفظه الله من كيدهم، وكفاه شرهم، وقد ولاه الامام المنصور — من أئمة اليمن — الخطابة بجامع صنعاء، واستمر ناشراً للعلم تدريساً وإفتاء وتصنيفاً، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يبالي بما يصيبه في سبيله شأن الذين أخلصوا دينهم لله وآثروا مرضاته على مرضاة الناس. وقد التف حوله كثيرون من الخاصة والعامة وقرءوا عليه كتب الحديث وعملوا باجتهاداته وأعلنوا ذلك في الناس. فكانت فتن أظهرهم الله عليها. وله مصنفات حافلة، منها (سبل السلام) الذي اختصره من البدر التمام للمغربي وأضاف إليه زيادات قيمة أكبرت شأن الكتاب، ومنها منحة الغفار جعلها حاشية على ضوء النهار للجلال، ومنها العدة حاشية على شرح العمدة لابن دقيق العيد، ومنها شرح التنقيح في علوم الحديث، وله مصنفات أخرى. وقد أفرد كثيراً من المسائل بالتصنيف مما لو جمع كان مجلدات، وله شعر فصيح منسجم أكثره في مباحث علمية و التوجع من أبناء عصره و الرد عليهم وبالجملة، فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين الصادعين فيه بصريح الحق. توفي ثالث شعبان سنة ١١٨٢ هـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن نصره السنة خير الجزاء.